الوحدة الإسلامية، مقوّماتها ومقوّضاتها

ـ قراءة في تفسير المنار للأستاذ محمد رشيد رضا ـ

Islamic unity, its components and its underminers

A reading of the interpretation of Al-Manar by Professor Muhammad Rashid Reda

خليفة خليفة *

جامعة حمه لخضر، الوادي، الجزائر Khelifa-khelifa@univ-ElOued.dz

تاريخ الإرسال: 2024/02/07 تاريخ القبول: 2024/04/30 تاريخ: النشر: 2024/06/20

الملخص:

تناولَت الدراسة موضوع الوحدة الإسلامية عند الأستاذ رشيد رضا ـ رحمه الله ـ، والأسس التي تقوم عليها، وما يهددها من معوقات وأخطار.

والهدف من هذه الدراسة هو معالجة أحد أهم الموضوعات التي تؤثّر بشكل مباشر على الأمة الإسلامية، وذلك من خلال منظور أحد أعلام الفكر والإصلاح في العالم الإسلامي، وطريقة معالجته لهذا الموضوع الحساس والحيوي.

وخلصت الدراسة إلى اقتناع الأستاذ رشيد الكبير، وحرصه البالغ بموضوع الوحدة، وتأكيده المستمر على ضرورة التوحد بين المسلمين، ونبذ الفرقة بينهم، وهو يستمد ذلك من أمر الإسلام بالوحدة، ونهيه الشديد عن الفرقة، ومن واقع المسلمين المزري، وما طالهم من ضعف واحتلال أجنبي، نَهَب بلادَهم، وسرق ثرواتهم.

الكلمات المفتاحية: الوحدة الإسلامية؛ رشيد رضا؛ التفرق؛ التقليد؛ المنار؛ اللغة العربية.

* **المؤلف المرسل**

doi: **https**://**doi**.**org**/**10**.**55781**/**rsic**.**v9i2**.**511**

Abstract:

The study dealt with the subject of Islamic unity according to Professor Rashid Rida - may God have mercy on him - and the foundations on which it is based, and the obstacles and dangers threatening it.

The aim of this study is to address one of the most important issues that directly affect the Islamic nation, through the perspective of one of the prominent figures of thought and reform in the Islamic world, and the way he deals with this sensitive and vital issue..

The study showed that Islamic unity is based on the foundations of Islam and the Arabic language, and at the same time it is threatened by many dangers, the most important of which are: blind imitation and abandonment of reasoning that leads to fanaticism and dissent, national calls aimed at dividing Muslims into states that are easy to occupy, and claims of translating the Holy Qur'an literally, which he has experienced. Professor Rashid.

Keywords: Islamic unity; Rashid Reda; dispersal; Imitation; Al Manar; Arabic.

مقدمة:

خلق الله الإنسان ليكون جزءا من جماعة تؤويه وتكفيه، وتوفّر له الأمن والانتماء، هذه الجماعات الإنسانية لا بد أن تقوم على أساس من التعاون والتكافل حيث يؤدّي كل فرد واجباته تجاه إخوانه، وينال مقابل ذلك حقوقه منها.

وقد جاء الإسلام الحنيف معترفا بحاجة الإنسان إلى الانتماء ومقرّرا لها، ومُقِرّا في الوقت نفسه بحقيقة اختلاف البشر وتفاوتهم، وتنوّع أجناسهم وثقافاتهم وألوانهم، لكن اتحاد الناس بسبب روابط عصبية وثقافية وعرقية قد يكون . وقد كان . سببا لنزاعات وحروب وصراعات، لهذا، جعل الله تعالى الإسلامَ هو الرابط الذي يجب أن يجتمع حوله المسلمون جميعا، فالإسلام لم يَدعُ الناسَ إلى

تجاهل أجناسهم، أو التنكّر لثقافاتهم، بل دعا إلى الاجتماع ونبذ التفرق بسبب هذه الاختلافات الجبلية بينهم.

لهذه الاعتبارات ـ وغيرها ـ فإن مصلحا فذًّا كالأستاذ رشيد لم يُغفل هذا الموضوع الهام والحساس، بل أكّده، وحرص على التنبيه على ضرورته، وهو ـ رحمه الله ـ في ذلك مدفوع بداعيَيْن قويّيْن جدا؛ دعوة الإسلام الأكيدة إلى الوحدة وعدم التفرق، وأيضا ما عايشه ـ رحمه الله ـ من تفرق المسلمين في عصره، وما جرّه عليهم من ويلات ونكبات، ليس أقلّها وقوع كثير من بلادهم تحت طائلة الاحتلال الأجنبي.

الإشكالية: وهذا ما تريد هذه الدراسة تسليط الضوء عليه، ولو من طرف خفي، وذلك للإجابة عن عدة تساؤلات، منها:

ما هو منظور الأستاذ رشيد إلى الوحدة الإسلامية؟ وكيف يرى منهجَ الإسلام في تقريرها؟ على ماذا تقوم الوحدة بين المسلمين؟ وما هي المخاطر التي تهدّدها وتعمل على تقويضها؟.

أهداف الدراسة: وبالإجابة عن هذه التساؤلات يمكن تحقيق عدة أهداف منها:

- بيان أهمية الوحدة وضرورتها في الاجتماع البشري.
- بيان مدى حضور هذا الموضوع في فكر الأستاذ رشيد رضا.
- الوقوف على أهم مقومات الوحدة الإسلامية، وما يتهدّدها من أخطار ومعوقات.
- لفت النظر إلى هذا الموضوع الحساس والخطير جدا على الأمة الإسلامية.

منهج الدراسة: أمّا عن المنهج المتَّبَع فهو المنهج الوصفي لعرض منظور الأستاذ رشيد، والاستعانة أحيانا بالمنهج التحليلي لاستخلاص النتائج واستنباطها.

1. المحور الأول: ضرورة الوحدة وخطورة التفرق

الإسلام هو دين الرحمة التي قضى الله تعالى أن يختم به الرسالات والأديان، لذلك فليس من خير ولا نفع إلا كان الإسلام دالا عليه ومرشدا إليه، وليس من شرّ أو ضرر إلا والإسلام يحذّر

منه وينهى عنه، ولا أخطر على المجتمع من التفرق والتشرذم، ولا أنفع له من التوحد والتآخي والتضامن.

1 .1: حث الإسلام على الوحدة بين المسلمين

جاءت نصوص الوحي مؤكّدة على الوحدة بين المسلمين، ومشدّدة على النهي عن الفرقة والاختلاف، فمن ذلك قول الله تعالى: "**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" الأنبياء: 92 ، وقوله تعالى: "**وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**" المؤمنون: 52، وقوله تعالى: "**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**" آل عمران: 103.

قال القرطبي ـ رحمه الله ـ في قوله تعالى: "**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**" آل عمران: 103، "إن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفُرقَةَ، لأن الفُرقَةَ هَلَكَةٌ، والجماعة نجاةٌ، روي عن عبد الله بن مسعود ـ ﷺ ـ في الآية الكريمة: أن حبل الله هو الجماعة "[1].

وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: "أمرهم الله عز وجل في الآية الكريمة بالجماعة، ونهاهم عن الفرقة، وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف، وقد ضمن الله لهم (أي للمسلمين) العصمة من الخطأ عند اتفاقهم (واجتماعهم)، وخيف عليهم (الخطأ) عند الافتراق والاختلاف، فقد وقع ذلك في هذه الأمة فافترقوا على ثلاثٍ وسبعين فرقةً، ومنها فرقة ناجية إلى الجنة، ومُسَلَّمةٌ من النار، وهم الذين على ما كان عليه مُحَمَّد ـ ﷺ ـ وأصحابه[2]".

وقال أبو حيَّان ـ رحمه الله ـ: "نُهي المسلمون (في هذه الآية الكريمة) عن التفرق في الدين والاختلاف فيه كما اختلف اليهود والنصارى، وقيل: عن إحداث ما يُوجِبُ التفرُّق، ويزُولُ معه الاجتماع[3]".

وقوله تعالى: "**والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض**" التوبة: 71، وقوله تعالى: "**إنما وليّكم الله ورسوله والذين آمنوا**" المائدة: 55.

ومن السنة: قول النبي ـ ﷺ ـ: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا"[4].

وقوله ـ ﷺ ـ "مَثَل المؤمنين في توادّهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"[5].

وقوله ـ ﷺ ـ" المسلمون تتكافؤ دماؤهم وهم يد على مَن سواهم"[6]، إلى غير ذلك.

2.1: مظاهر الوحدة الإسلامية في التشريع الإسلامي

فهذه نصوص تدعو إلى الوحدة، وتحذّر من الشقاق والنزاع، لكن الإسلام لم يكتفِ بالتقرير النظري لموضوع الوحدة، ولم يجعله رهن الدعوات وحبيس التنظيرات، بل جعله مظهرا يطبع مختلف التشريعات والأحكام.

من ذلك الصلاة التي هي عماد الدين، ففيها تتجلّى الوحدة، "فقد جعل الله مواقيتها واحدة، وركعاتها واحدة، وهيئاتها واحدة، لا تختلف من بلد إلى بلد، أو من جيل إلى جيل، بل يتم الإعلام عنها في وقت واحد فيستجيب المؤمنون للنداء، ويجتمعون خمس مرات كل يوم في المسجد، يناجون ربا واحدا، ويؤدون أعمالا واحدة، ويتجهون إلى قبلة واحدة"[7].

فالصلاة تذكير يومي بالرابط الذي يربط بين المسلمين دون اختلاف ولا تفاوت، فكل المسلمين يؤدون الصلاة ويقفون في صف واحد، ويصلون خلف إمام واحد، فهذا تدريب عملي يعوّد المسلمين الإحساس بالوحدة مع بعضهم.

وكذلك الصيام الذي يوحّد المسلمين، لأنه مفروض على الجميع دون استثناء إلا لأصحاب الأعذار، فالكل يحسّ بالجوع والعطش، فحينما يطلّ شهر رمضان على المسلمين "يوحّد بينهم في مشارق الأرض ومغاربها على اختلاف ألسنتهم، يوحّد بينهم في شعورهم وسرورهم، ويوحّد بينهم في استعادة ذكرياتهم المجيدة، ويوحّد بينهم في استعادة ليلهم ونهارهم، وفي وقت طعامهم وشرابهم، ويجعل فقراءهم وأغنياءهم وحكّامهم ومحكوميهم ورجالهم ونساءهم في ذلك كله سواء"[8].

والأمر ذاته مع الزكاة التي هي جزء من مال الأغنياء يُرَدّ على الفقراء تحقيقا للوحدة والتكافل بين المسلمين.

والحج أظهر مظاهر الوحدة بين المسلمين، ففيه يجتمع المسلمون من كل بقاع الأرض، رغم اختلاف أعراقهم وألوانهم ولغاتهم، "حيث يتجرّد المسلمون من صبغة الدنيا وألوانها، ومظاهر طبقاتها وتفاوتها، ويعودون بأنفسهم إلى وحدة المظهر، يحاكون بها وحدة العقيدة والإيمان"[9]، فاتّحاد المسلمين في العقيدة والإيمان يجسّده اتّحادهم في مناسك الحج وتلاقيهم عليه.

ولكن رغم تأكيد الإسلام على الوحدة، ونهيه الشديد عن التفرق، ورغم تكريس تشريعاته لمبدأ الوحدة بين المسلمين، إلا أن واقع المسلمين قد آل إلى خلاف ذلك، فقد انقسم السلمون وتفرّقوا، وعادى بعضهم بعضا باسم الدين، "أصبحت الأمة اليوم تتفتت وتتشرذم ويضحك علينا الشيطان، ويقسمنا شيعًا وطوائف، ويبدّدنا أقساماً وأحزاباً كل حزب بما لديهم فرحون، وكل طائفة بما عندهم مقتنعون، مع أن الحق أبلج، والصراط المستقيم واضح وجلي، والدين شامل وكامل، وقد تركنا النبي ـ ﷺ ـ على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك، ولكنه التفرق والجدال وحب المراء والخلاف وشهوة التسلط وحب الزعامة جعلت هذه الأمة تتقسم وتتفرق، "**فتقطّعوا أمرهم بينهم زبرا، كل حزب بما لديهم فرحون**" المؤمنون: 53، لقد نجح الشيطان في تفريق قلوبنا، وشق صفوفنا، ووصل إلى أعماقنا ودواخلنا، وزرع فيها الضغائن والأحقاد والكراهية والحسد، فصرنا نختلف على أبسط الأشياء، ويهجر بعضنا بعضاً على أتفه الأمور، فضلاً عن التناحر والاقتتال، ولكنه رجس الشيطان وخبثه، وصدق النبي ـ ﷺ ـ إذ يقول "إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن رضي في التحريش بينهم[10]" ، فهذا هو واقع المسلمين، فهم مخالفون فيه لتوجيهات دينهم وأوامر ربهم، ومفسدون لحالهم، ومخربّون لديارهم وأوطانهم.

2. المحور الثاني: الوحدة الإسلامية من منظور الأستاذ رشيد:

لا مراء حول أهمية الوحدة بين أفراد المجتمع، وخطر التفرق والتنازع بينهم، لهذا، فليس غريبا أن يوليه إمام مصلح كالأستاذ رشيد عناية تليق به وبأهميته.

1.2: المسلمون بين حرص الإسلام على الوحدة وتفريطهم فيها

يقرّر الأستاذ رشيد ـ ابتداءً ـ حاجة الإنسان إلى الانتماء إلى جماعة تكفيه مؤنة العيش، وتوفر له الأمن والاحتياجات الضرورية لوجوده، وهو ـ في المقابل ـ يقدّم لها خدمات، ويقوم تجاهها بواجبات اجتماعية، يقول ـ رحمه الله ـ "وهذا الذي يعبّرون عنه بقولهم: الإنسان مدني بالطبع، يريدون بذلك أنه لم يوهَب من القِوى ما يكفي للوصول إلى جميع حاجاته، بل قُدِّر له أن تكون منزلة أفراده من الجماعة منزلة العضو من البدن، لا يقوم البدن إلا بعمل الأعضاء، كما لا تؤدّي الأعضاء وظائفها إلا بسلامة البدن"[11]، فالاحتياج متبادل، والمنفعة متحقّقة للطرفين، فالفرد محتاج إلى جماعة تؤويه، والجماعة لا قِوام لها دون أفراد متعاونين.

لكن هذا الأمر يصطدم بحقيقة اختلاف البشر، وما فُطروا عليه من تباين وتفاوت، مصداقا لقوله تعالى: "**ولا يزالون مختلفين، إلا من رحم ربك**" هود: 118-119، فالإنسان يتعامل بفكره ومنظوره الخاص، فلا بد أن يختلف مع غيره من الناس الذين يكون لكل واحد منهم رأيه وفكره المستقلّ، "فلمّا كان الناس أمة واحدة، ولا يمكن أن يكونوا بمقتضى فِطَرهم إلا كذلك، وهم إنما يعملون بمقتضى آرائهم، ويَنحون في أعمالهم نحوَ المنافع التي يرونها لازمة لقِوام معيشتهم، ولم يُمنَحوا من قوة الإلهام ما يعرف كلا منهم وجهَ المصلحة في حفظ حق غيره لتوفير المنفعة بذلك لنفسه ـ لما كانوا كذلك، كان لا بد لهم من الاختلاف"[12].

فالإنسان بين ضرورتين؛ ضرورةِ الانتماء إلى مجموعة تحضنه، وضرورة الاختلاف في الآراء والعقول والمدارك بين أفراد الجماعة الواحدة.

وينبّه الأستاذ الإمام مُحَمَّد عبده إلى أن الخلاف الواقع بين البشر على قسمين؛ قسم لا يملك البشر له دفعا، ولا معه خيارا، فلا سبيل إلى دفعه أو إزالته، وقسم يمكن دفعه وتخفيف ضرره، يقول ـ رحمه الله ـ"أمّا الأول فهو الخلاف في الفهم والرأي، ولا مفرّ منه، لأنه ممّا فُطر عليه البشر، فاستواء الناس في العقول والأفهام ممّا لا سبيل إليه، ولا مطمع فيه...وأمّا الثاني وهو ممّا جاءت الأديان لمحوه، فهو تحكيم الأهواء في الدين والأحكام"[13]، فالخلاف بين البشر، إذا كان في العقول

والآراء والأفهام، فلا مناص منه، ولا ضرورة إلى دفعه، أمّا إذا كان الخلاف في الأديان والأحكام فهو أمر خطير جدا، لأنه يُفضي إلى التنازع والتفرق بين الناس.

ولا بد من التنبيه على أن القسم الثاني من الخلاف مَبني على القسم الأول، فاختلاف الناس في الأديان والأحكام مَرَدّه أساسا إلى اختلافهم في الأفهام والعقول، لكن المشكل أساسا هو في تحكيم الأهواء، لا في أصل الاختلاف الذي هو أمر فطري وجبلّي.

لهذا، فلا غرابة أن عدّ الأستاذُ رشيد التفرّقَ في الدين أهم أسباب التنازع والتنافر التي أدّت إلى ضعف المسلمين، وما حلّ بهم من نكبات ورزايا، يقول ـ رحمه الله ـ"وإنما البلاء الأكبر، والموت الأحمر، والخطر الأسود المظلم، فهو اختلاف الشِيع والأحزاب في الدين، والزيغ عن القرآن باتّباع ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله"[14].

بل إن الأستاذ رشيدا يجعل التفرق بين المسلمين أهم أسباب توقّف تطوّر الحضارة الإسلامية وازدهارها، قال ـ رحمه الله ـ"ولو لم يَعْرِض للحضارة العربية الإسلامية من المصائب والفتن الاجتماعية والحربية والشقاق الديني ما وقف بترقّي العلم والبحث لَسبقوا إلى ما وصل إليه غيرهم من الإفرنج بعدهم باتّباعهم والجري على آثارهم"[15]، فبدل أن تتّجه طاقة الأمة إلى البحث والعلم النفع، فإنها ـ بسبب الخلاف ـ تتّجه نحو التنافر والتنازع، والتصارع مع الإخوة في الدين واللغة والوطن.

ويمثّل له الأستاذ رشيد بما حدث بين الفرق الإسلامية المختلفة التي "لا يكاد أحدهم يعلم أن الآخر خالَفَه في رأي إلا ويبادر إلى الردّ عليه بالتأليف، وبذل الجهد في تضليله، وتفنيد مذهبه، ويقابله الأخر بمثل ذلك، ولا يحاول أحد منهم محادثة الآخر، والاطّلاع على دلائله، ووَزْنها بميزان الإنصاف والعدل"[16].

فكل ما يهم المتفرّقين والمتنازعين هو إثبات خطأ الخصم وتفنيد رأيه، لا البحث عن الحقيقة، وإيجاد نقاط الاتّفاق والتلاقي، وفي كل ذلك هدر لطاقة الأمة ومجهودات علمائها، لذلك قرّر

الأستاذ رشيد بأن "هذا النوع من الخلاف هو الذي ذلَّت به الأمم بعد عزّها، وهَوَت بعد رفعتها، وضعفت بعد قوّتها"[17].

يحدث هذا بين المسلمين رغم تأكيد الإسلام المستمرّ على ضرورة الوحدة، ونهيه الأكيد عن التفرق والتنازع، "لِما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة، وبالعزة يعتزّ الحق فيعلو في العالمين، وبالقوة يُحفَظ هو وأهله من هجمات المواثبين، وكيد الكائدين"[18].

وقد أورد الأستاذ رشيد طرفا من هذه النصوص من قبيل قوله تعالى: "**واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا**" آل عمران: 103، وقوله تعالى: "**وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**" الأنفال: 46، وقوله ـ ﷺ ـ: لا ترجعوا بعدي كفارا[19]، ثم عقّب بعد ذلك قائلا "وقد خالَفْنا كلَّ هذه النصوص، فتفرّقْنا وتنازعنا وشاقّ بعضُنا بعضا بشبه الدين، إذ اتّخذْنا مذاهبَ متفرقة، كل فريق يتعصّب لمذهب ويعادي سائر إخوانه المسلمين لأجله، زاعما أنه ينصر الدين، وهو يخذله بتفريق كلمة المسلمين"[20].

ويَخلُص الأستاذ رشيد من ذلك كله إلى أنه ما دام الإسلام يدعو إلى الوحدة، وينهى عن التفرّق، فإنه يمكن اعتبار "التعادي والتنازع انحرافا عن الصراط المستقيم، واتّباعا لخطوات الشيطان الرجيم"[21].

تأسيسا على ما سبق يقرّر الأستاذ رشيد أن سنة الله تعالى في المتفرّقين أن يصيبهم الضعف والتخاذل والهوان، ويقعوا فريسة سهلة للاحتلال من طرف الأعداء، "فقد مضت سنته في الاجتماع البشري من ضعف المتفرقين وفشل المتنازعين، وتسلّط الأقوياء عليهم، ولَبْسهم شيعا يذيق بعضهم بأس بعض بما تثيره عداوة التفرق بينهم من التقاتل والحروب"[22].

ويستشهد الأستاذ رشيد لذلك بقوله تعالى: "**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا**" البقرة: 253، وقوله: "**فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف ينبّئهم الله بما كانوا يصنعون**" المائدة: 14، وأيضا: "**قل هو القادر على أن**

يبعث عليكم عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم بأس بعض" الأنعام: 65.

فجزاء المتفرّقين خصوصا إذا كان ذلك بسبب الدين، هو تنازعهم تقاتلهم فيما بينهم، وهو ما يؤدي إلى ضعفهم، وخَوار قوّتهم، وفقد الثقة فيما بينهم، وهذا يجعلهم طعمة للطامعين، ومطمعا للمحتلّين، "وهذا كلّه في الدنيا، ولهم في الآخرة عذاب أدهى وأمرّ، ثم ينبئهم عند الحساب بما كانوا يفعلون في الدنيا من الاختلاف والتفرق بتفريق الدين، أو مفارقته، اتّباعه للأهواء، وما يستلزم ذلك، ويجازيهم عليه في النار"[23].

فهذه سنة إلهية أودَعَها الله تعالى في خلقه، وبيّنها للمؤمنين في كتابه الكريم، فإذا اعتصموا به كانوا متّحدّين متعاونين، أمّا إذا هجروه وتركوه وراءهم ظِهريا، حلّ بهم التفرق، وما يجرّه عليهم من ويلات ونكبات، وهو ما يوضّحه قول الأستاذ رشيد "بيّن الله تعالى لهم في كتابه سننَه في الأمم ـ ومنها هلاك المتفرقة ـ، وأنها لا تتبدّل ولا تتحوّل"[24].

2.2: أنواع الوحدة عند الأستاذ رشيد

عقد الأستاذ رشيد فصلا في تفسيره متحدّثا فيه عن المقاصد التي أُنزل القرآن لتحقيقها والتي بلغَت عشرة مقاصد، جعل المقصد الرابع منها هو قصْد الإصلاح بأبعاده المختلفة؛ الاجتماعية والانسانية والسياسية، وذلك ما لا يمكن إلا بتكريس ثمانية أنواع من الوحدة، وهذه الوحدات هي:

1.2.2: وحدة الأمة

والمراد بها تقرير وحدة المسلمين بأنهم أمة واحدة، كما قال تعالى: "**إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون**" الأنبياء: 92، وهو الخطاب نفسه الموجَّه إلى الأنبياء، فقال تعالى: "**يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم، وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاتقون**" المؤمنون: 51-52، "ولكن كان لكل نبي أمة من الناس هم قومه، وأمّا خاتم النبيين فأمته جميع الناس، وقد فرض الله عليهم الإيمان بجميع رُسُله وعدم التفرقة بينهم"[25]، فالإيمان

برسالة نبي من الأنبياء يقتضي الإيمان بسائر الأنبياء، لأنهم أمة واحدة ـ عليهم السلام ـ، والتكذيب بواحد منهم هو تكذيب لبقيّتهم، قال تعالى: "**والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف نؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما**" النساء: 152، وقال سبحانه عن المكذّبين ببعض الرسل: "**إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا، أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا**" النساء: 150-151.

2.2.2 ـ الوحدة الإنسانية:

وذلك بإثبات اتّحاد الناس في أصل خلْقهم، وأنهم كلهم من نفس واحدة، كما قال تعالى: "**يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة**" النساء: 1، وقال سبحانه أيضا: "**يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجلعناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا**" الحجرات: 13، "وهذه الوحدة الإنسانية تتضمّن الدعوة إلى التآلف بالتعارف، وإلى ترك التعادي بالتخالف"[26].

فما دام الناس كلهم ذَوي رحم واحد، ويجمعهم أصل واحد، فلا معنى لتفضيل أحدهم على الآخر، أو جنس على جنس، فالعلاقة بينهم تقوم على التآلف والتعارف، لا على التنافس والتفاضل.

3.2.2: وحدة الدين

والتي تقتضي أمرَيْن؛ وحدة الدين من جهة اتّباع رسول واحد، وأيضا وحدة الدين الذي جاء به الأنبياء جميعا، يقول الأستاذ رشيد "وحدة الدين باتّباع رسول واحد جاء بأصول الدين الفطري الذي جاء به غيره من الرسل، وأكمَلَ تشريعه بما يوافق جميع البشر"[27]، فالمسلمون مُتّحدون لأنهم يتبعون رسولا واحدة، ودينا واحدا من لدن الأنبياء السابقين، وصولا إلى خاتمهم ـ صلى الله عليه وسل ـ، كما قال تعالى: "**إن الدين عند الله الإسلام**" آل عمران: 19.

وينبّه الأستاذ رشيد إلى أن تقرير وحدة الدين لا تعني إجبار الناس على الدخول فيه، قال ـ رحمه الله ـ "ولمّا كان الإسلام دين الفطرة وحرية الاعتقاد والوجدان جعَل الدينَ اختياريا، يقول تعالى: "**لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي**" البقرة: 256"[28].

4.2.2: وحدة التشريع

فكل المخاطَبين بالإسلام تجمعهم أحكام واحدة متساوية، فكلهم سواء في نظر الإسلام، "ويكون ذلك بالمساواة بين الخاضعين لأحكام الإسلام في الحقوق المدنية والتأديبية بالعدل المطلق بين المؤمن والكافر، والبر والفاجر، والملك والسوقة، والغني والفقير، والقوي والضعيف"[29]، فكلهم مخاطَبون بأحكام التشريع دون اختلاف.

5.2.2: الوحدة الدينية

فالمسلمون يؤدّون العبادات المطلوبة منهم بشكل متماثل ومتساو، فلا تفريق بينهم بملك ولا جاه ولا نسب، وهو ما يتجلّى في الشعائر الظاهرة التي يؤدّيها المسلمون جميعا، كالصلاة والحج، "فملوك المسلمين وأمراؤهم وكبار علمائهم يختلطون بالفقراء والعوام في صفوف الصلاة، والطواف بالكعبة المشرّفة، والوقوف بعرفات، وسائر مواطن الحج"[30].

وإن كان هذا النوع من الوحدة ليس بعيدا عن النوع الذي قبله، فالمساواة في الأحكام الدينية والتعبّدية تقتضي حتما المساواة في الأحكام التشريعية والعقوبات.

6.2.2: وحدة الجنسية السياسية الدولية

"وذلك بأن تكون جميع البلاد الخاضعة للحكم الإسلامي متساوية في الحقوق العامة"[31]، ويُستثنى من ذلك حق الإقامة في المعابد، لأنها "خاصة بأهلها، ولها حرمتها، لا يجوز لغير أهلها دخولها بغير إذن منهم، المسلمون وغيرهم في هذا سواء"[32]، لذلك فلا يجوز لغير المسلمين الإقامة في بلاد الحجاز لأن لها حكم المعبد، "لأن للحرمين وسياجهما من الجزيرة حكم المعابد والمساجد"[33].

7.2.2: وحدة القضاء واستقلاله

فالناس أمام الشريعة الإسلامية سواء، إلا أن يكونوا أهل أديان أخرى، فإن لهم حرية الاحتكام إلى شريعتهم، "وإذا تحاكموا إلينا فإننا نحكم بينهم بعدل شريعتنا الناسخة لشرائعهم، والأصل فيه قوله تعالى: "**فإن جاءوك فاحكم بين أو أعرض عنهم، وإن تعرض عنهم فلن يضروك شيئا، وإن حكمتَ فاحكم بينهم بالقسط، إن الله يحب المقسطين**" المائدة: 42، وقوله بعد آيات: "**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**" المائدة: 49"[34].

فغير المسلمين إمّا أن يحتكموا إلى شريعتهم، أو إلى الشريعة الإسلامية.

8.2.2: وحدة اللغة

فالشعوب الإسلامية الكثيرة والمختلفة لا بدّ لها من رابط يجمعها، وهذا الرابط هو وحدة اللغة التي جاء بها الإسلام، فهم يُقْبلون على تعلمها بداعٍ من دينهم وعقيدتهم، ورغبة في فهم إسلامهم الحنيف، يقول الأستاذ رشيد في ذلك "إذ يكون المؤمنون مَسوقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله وسنة رسوله لفهمهما والتعبّد بهما، والاتّحاد بإخوتهم فيهما"[35].

فهذه الوحدات الثماني ـ كما يرى الأستاذ رشيد ـ هي مدار الإصلاح الإسلامي ومناطه، لذلك فهي أحد المقاصد التي جاء القرآن لتحقيقها وتقريرها.

3. المحور الثالث: مقوّمات الوحدة الإسلامية

بما أن الوحدة بين أفراد المجتمع أمر توجِبه ضرورة الاجتماع، ويقضي العقل بأهميته، فإن الإسلام الخاتم جاء تكريسا لها، وتأكيدا عليها، وقد سبقت الإشارة إلى جانب من الأمر الإسلامي للمسلمين بضرورة الاعتصام بحبل الله تعالى، والنهي الأكيد عن التفرق والتنازع.

إلا أن الوحدة التي يحقّقها المجتمع المسلم لا تقف عند حدّ الضرورة الاجتماعية والحتمية العقلية فقط، بل إن لها مقوميْن رئيسيْن هما عِمادها وركيزتها، وهذان المقوّمان هما: الإسلام واللغة العربية.

1.3: الإسلام

في رسالة التوحيد للإمام مُحَمَّد عبده يقرر ـ رحمه الله ـ حاجة البشر إلى الرسل، وذلك من خلال مسلكيْن؛ أولهما: مسلك فطرية الإيمان، وحاجة البشر إلى مصدر أعلى للهداية والتوجيه، نظرا لقصور عقولهم ومداركهم عن دَرْك كل الحقائق ووجوه المصالح.

والمسلك الثاني: "مبني على ما عُلم من فطرة الإنسان من كونه خُلق ليعيش متعاونا مجتمِعا، يقوم أفراد متفرّقون وجماعات متعاونون بكل نوع من أنواع الأعمال التي يحتاج إليها في حفظ حياته الشخصية والنوعية...وكون أفراده يختلفون في ذلك اختلافا يقتضي التنازع والشقاق الذي يُفضي إلى التخاذل والتقاتل إذا لم يتداركه الله بهدايةٍ تُزيل الخلاف، وتوحّد الآراء والأهواء، وهذه الهداية هي هداية الوحي الذي بعث الله به الرسل"[36]، فحاجة الإنسان إلى المجموع، وحقيقة اختلاف مدارك البشر تؤدّي حتما إلى نشوب خلاف وتنازع، فجاء الوحي الإلهي لإزالته، وذلك بإرشاد الناس إلى صراط واحد مستقيم يَعصِمهم عن خطر التفرّق، ويَقيهم ضرره.

وبيان ذلك أن البشر رغم تفاوتهم العقلي، إلا أنهم متساوون في حقيقة امتلاك العقل والإدراك، وعليه، فلا يستطيع أحد أن يزعم أن رأيه أصوب من آراء غيره، فضلا عن تحكّم الأهواء التي تجعل كل شخص يراعي مصلحته، ويَزِن الأمور بميزانها الضيّق المحدود، فكان لا بدّ من توجيهٍ أعلى من البشر، يتّفقون عليه ويكون مَرجعا لاختلافاتهم، ومُزيلا لتنازعهم، أمّا الاحتكام إلى مجرد العقول البشرية، فهو سبب اختلافات وتنازعات لا تنتهي، وهذا هو دور الإسلام الأول في المجتمع، لأنه ليس فقط داعيا إلى الوحدة ومؤكّدا عليها، بل هو لبّها ومحورها، وذلك بأن "تكون كلمة الإسلام هي العليا، وأن تكون العلاقات كلها دون العلاقة الإسلامية بحيث تكون هي الرابطة الأولى، إليها تتجه النفوس وتتحرّك الغايات، ويكون الإسلام هو المستغرق للنفس، المستولي عليها الذي لا يعرف سلطانا لغيره"[37]، إذ هو الجامع لكل المسلمين المعتصمين بكتاب الله وسنة رسوله الكريم ـ ﷺ ـ، فكل مسلم يعتبر المسلمين إخوة له في الدين، وإن لم يكن بينه وبينهم رابط من لغة ولا جنس ولا وطن.

وهذا ما يجلّي لنا لماذا جعل الله تعالى الإسلامَ طريقا واحدا، لا سُبُلا متعدّدة، فقال تعالى: "**وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبلَ فتفرّق بكم عن سبيله**" الأنعام: 153، يقول الأستاذ رشيد "فذكر تعالى أن له سبيلا واحدة، سمّاها صراطا مستقيما، لأنها أقرب طريق إلى الحق والخير والسلام، وإن هناك سُبُلا متعدّدة يتفرّق متّبِعوها عن ذلك الصراط، وهي طُرُق الشيطان"[38].

فرحمة الله تعالى بعباده قضَت أن يكون سبيل الله واحدا، لا تعدّد فيه ولا تشعّب لكي يَجْمَع شمل متّبعيه، ويقيهم شرّ التفرق والتخالف في الدين، لذلك فقد استنبط الأستاذ رشيد من هذه الآية أنه إذا كان التفرق دليلا على اتّباع خطوات الشيطان، فإن "الذين يتّبعون سبيل الله لا يتفرّقون"[39]، لأنهم يَجمعهم اتباع صراط واحد، هو صراط الله تعالى.

وفي تفسير قوله تعالى: "**ولا تتّبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدوّ مبين**" البقرة: 208، أكّد الأستاذ رشيد أن خطوات الشيطان هي السبل التي تكون سببا للتفرق بين المؤمنين، قال ـ رحمه الله: " أي لا تسيروا سَيْره، وتتبعوا سبيله في التفرق في الدين، أو الخلاف والتنازع مطلقا"[40].

فبما أن الصراط المستقيم هو طريق واحد، فإن سبل الشيطان هي طرق متعددة ومختلفة، يريد الشيطان أن يوقع العداوة والبغضاء بين المؤمنين بسببها، قال الأستاذ رشيد "طريق الحق هو الوحدة والإسلام، وطُرُق الشيطان هي مثارات التفرق والخصام"[41].

فالإسلام هو حافظ الوحدة بين المسلمين، وركنها الركين، لذلك قال تعالى: "**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرّقوا**" آل عمران: 103، فقد جنح الأستاذ رشيد إلى أن المراد بحبل الله تعالى هو كتابه الكريم، ثم قال ـ رحمه الله ـ عن معنى الاعتصام بكتاب الله تعالى "أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع، وبه نتّحد، لا بجنسيات نتّبعها، ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواضعات نضعها، ولا بسياسات نخترعها"[42]، فالإسلام يأمرنا أن نجعل القرآنَ الكريم هو مدار اجتماعنا، ومناط اعتصامنا، فلا نستعيض عنه بجنسيات وقوميات ومذاهب تفرّق ولا تجمع.

ويؤكّد الأستاذ رشيد أن جعل الإسلام جنسية جامعة للمسلمين هو أحد ثلاثة مميزات مازت منهجَ مجلة "**العروة الوثقى**" التي ألّفها جمال الدين الأفغاني، قال ـ رحمه الله ـ."وأهم ما انفرد به منهج العروة الوثقى في ذلك ثلاثة أمور...ثالثها: أن المسلمين ليس لهم جنسية إلا دينهم، فهم إخوة لا يجوز أن يفرّقهم نسب ولا لغة و حكومة"[43].

فهذا المبدأ كان محطّ إعجاب الأستاذ رشيد من مجلة "**العروة الوثقى**"، وأحد أسباب اعتناقه لمذهب الإمام الأفغاني، وسَيْره على نهجه في الإصلاح، وهذا يؤشّر على مدى ترسّخ فكرة كون الإسلام جنسية شاملة للمسلمين، دون تفريقٍ بينهم بنسب ولا جنسية ولا حكومة عند الأستاذ رشيد ـ رحمه الله ـ.

2.3: اللغة العربية

المقوّم الثاني من مقومات الوحدة بين المسلمين هو رابطة اللغة العربية التي أنزل الله تعالى بها القرآن الكريم، وهذا المقوم متفرّع عن المقوم السابق، فالإسلام هو أصل الوحدة الإسلامية، ولا يمكن فهم الإسلام إلا بالتمكّن من اللغة العربية التي جاء بها، كما قال الأستاذ رشيد "فلا بقاء الإسلام إلا بفهم القرآن فهما صحيحا، ولا بقاء لفهمه إلا بحياة اللغة العربية"[44].

فالعربية هي وسيلة فقط يتذرّع بها المسلم لفهم أعمقَ للقرآن والإسلام، "حُقّ أن تكون اللغة العربية مقوّمًا من مقوّمات الوحدة بين المسلمين، فهي اللغة الدينية المشتركة الجامعة بين المسلمين، بل القائدة لألسنتهم على اختلافها[45]، وقد قال الإمام الشافعي ـ رحمه الله ـ "فإذا كانت الألسنة مختلفة بما لا يفهمه بعضهم عن بعض، فلا بد أن يكون بعضهم تبعًا لبعض، وأن يكون الفضل في اللسان المتّبَع على التابع، وأولى الناس بالفضل في اللسان مَن لسانه لسان النبي، ولا يجوز – والله أعلم – أن يكون أهل لسانه أتباعًا لأهل لسان غير لسانه في حرف واحد، بل كل لسان تبع للسانه، وكل أهل دين قبله فعليهم اتباع دينه"[46].

وما دام الإسلام جامعا لكل المسلمين، فاللغة التي جاء بها تؤدّي الغرض نفسه، والوظيفة ذاتها، "ومن البديهي أن وحدة الأمة لا تتمّ إلا بوحدة اللغة، ولا لغة تجمع المسلمين وتربطهم إلا لغة الدين الذي جعلهم بنعمة الله إخوانا، وهي العربية التي لم تَعُد خاصة بالجنس العربي"[47].

لهذا الاعتبار فقد صرّح غير واحد من العلماء بوجوب تعلّم اللغة العربية، وأشهرهم الإمام الشافعي في رسالته[48]، وهو ما أورده الأستاذ رشيد، وأكّد أنه ليس قولا انفرد به الشافعي، "كلا، إنه إجماع لا اختلاف فيه"[49].

واستدل الأستاذ رشيد لهذا القول بأنه قد انعقد الإجماع قديما وحديثا على "التعبّد بقراءة القرآن العربي وأذكار الصلاة والحج وغيرهما بالعربية"[50]، وعلى وجوب معرفة اللغة العربية "معرفة تمكّن صاحبها من فهم أحكام القرآن والسنة"[51].

ويَخلُص الأستاذ رشيد من هذا إلى أن قيام الدين الإسلامي مرتبط بإقامة لغته التي أنزل الله بها كتابه الكريم على رسوله الأمين ـ ﷺ ـ، يقول ـ رحمه الله ـ "وجملة القول إن إقامة دين الإسلام متوقفة على لغة كتابه المنزل وسنة نبيه المرسل، سواء في ذلك هدايته الروحية، ورابطته الاجتماعية وحكومته العادلة المدنية"[52].

فالمسلم يُقْبِل على تعلّم اللغة العربية والتبحّر فيها، ليس لأنها لغة قوم يُسمَّون العرب، بل لأنها لغة القرآن، وكلما زاد المرء تمكّنا منها، زاد فهمه لكتاب الله تعالى.

وهذا ما يفسر خدمة الأعاجم للعربية حتى أصبح عدد منهم علماءَ أعلاما في العربية، يقول الأستاذ رشيد عن ذلك "ولهذا كان يجتهد مسلمو العجم في خدمة هذه اللغة كما يجتهد مسلمو العرب بلا فرق، ويَعدّونها لغتهم، لأنها لغة القرآن التي تقوم لها حجته، وهم من أمة القرآن، بلا فرق"[53]، فالمسلم لا ينظر إلى العربية من منظور قوميّ عصبي، بل من منظور أنها وسيلة وطريق لفهم كتاب الله تعالى.

هذان رُكْنا الوحدة الإسلامية ودِعامتاها المتينتان، فالإسلام هو دين الله تعالى إلى البشرية جمعاء، كما قال سبحانه تعالى: "**وما أرسلناك إلا مبشرّا ونذيرا**" سبأ: 28، فهو الذي يجمع

المسلمين، ويجعلهم أمة واحدة، ويتفرّع عنه اللغة التي جاء بها، وهي اللغة العربية التي لا فهم للإسلام ولا للقرآن دون تمكّنٍ منها أو تبحّر فيها.

4: المحور الرابع: مقوّضات الوحدة الإسلامية

بيّنا فيما سبق كيف شدّد الأستاذ رشيد على أهمية الوحدة لقِوام المجتمعات، وحرص الإسلام عليها، وذكرنا أهم مقوّمَيْن تقوم عليهما الوحدة الإسلامية، وهما: الإسلام واللغة العربية، لكن مصلحا حصيفا كالأستاذ رشيد ما كان لِيُغْفل وجود معوّقات تهدد الوحدة، وأخطار تحيق بها، وتمنعها من التحقق والوجود، وسنقتصر على أهم ثلاثة مهدّدات ارتآها الأستاذ رشيد خطرا على الوحدة الإسلامية في عصره ـ رحمه الله ..

1.4: التقليد

يُعرَّف التقليد **لغة** بأنه جعل الشيء في العنق، ومنه تقليد الهَدْي وهو تعليق قطعة من جلد في عنق البعير، وتقليد العامل أي جعل العمل كالقلادة له[54].

أمّا **اصطلاحا** فهو: أخذ القول من غير معرفة دليله[55]، وهو التعريف نفسه في الإحكام، ويخرج عنه أمور منها "الرجوع إلى قول النبي ـ ﷺ ـ وإلى ما أجمع عليه أهل العصر من المجتهدين، ورجوع العامي إلى قول المفتي، وكذلك قول القاضي بقول العدول لا يكون تقليدا"[56].

أحد أبرز ملامح منهج الأستاذ رشيد والمدرسة العقلية عموما هو مهاجمة التقليد، والتحذير من خطره وضرره، والدعوة المتكرّرة إلى الاستقلال في الاستدلال، والتحرّر في الفكر، والإذعان إلى الدليل والبرهان، لا إلى أقوال الرجال، يقول الأستاذ رشيد في ذلك "الآيات القرآنية الدالة على بطلان التقليد في الدين كثيرة جدا، وكذلك الأحاديث النبوية وأقوال علماء السلف الصالحين، وإنما تقرّرَت بدعة التقليد في القرن الرابع، أي بعد القرون الثلاثة التي وصفها النبي ـ ﷺ ـ بأنها خير القرون"[57]، فالقرون الثلاثة الأولى لم تعرف التقليد، ولم تجعله أصلا في التعامل مع النصوص، بل ظهر التقليد بعد تلك القرون التي هي خير القرون.

ويقول الأستاذ رشيد عن قوله تعالى: "**وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا، أو لو كان آباؤهم لا يعقلون شيئا ولا يهتدون**" البقرة: 170، وعن الآية المشابهة لها في سورة المائدة وهي قوله تعالى: "**وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا**" المائدة: 104، بأنها "أظهر وأوضح ما ورد في الكتاب العزيز من الآيات في بطلان التقليد، فقد قررنا أن التقليد خلاف مقتضى حكم العقل ودلائل العلم وهداية الدين، ولكن خلفنا الطالح رجعوا إليه خلافا لسلفهم الصالح، حتى عادوا وهم في حجر الإسلام شرًّا مما كانت عليه الجاهلية في حجر الإسلام"[58]، فالتقليد ـ حسب مفهوم الأستاذ رشيد ـ باطل من جهتين؛ من جهة كونه مخالف لهدي الدين ومقتضى العقل، ومن جهة كونه مخالفا لِما كان عليه السلف الصالح، وهم خير القرون.

لهذا، فقد وصفه الأستاذ رشيد بأنه عصبية جاهلية، فقال "القاعدة الثالثة عشرة ـ من القواعد المستفادة من سورة البقرة ـ: بطلان التقليد للآباء والأجداد والمشايخ والمعلمين والرؤساء، لأنه جهل وعصبية جاهلية"[59].

وقد ناقش ـ رحمه الله ـ في مواضع عديدة من التفسير والمجلة بطلان التقليد، ووجوب الاستدلال على آحاد المكلَّفين، حتى في العقائد والأحكام، وكرّ على أدلة المجيزين للتقليد بالإبطال والمناقشة والردّ.

وما يعنينا في هذا المقام هو تأثير التقليد السيء على وحدة الأمة، وتسبَّبه في تفريقها وتمزيق شملها، وهو ما يوضّحه قول الأستاذ رشيد "وشرّ التقليد ما فرّق الأمة شيعا، وجعل الاختلاف في الدين عندها دينا بانتساب كل شيعة وطائفة إلى رجل يلتزمون أقواله، أو أقوال مَن يدّعون اتّباعه في كل مسألة، وإن خالفَت نصوصَ الكتاب والسنة وما كان عليه جمهور الصحابة والتابعين"[60]، فكل فرقة أو طائفة تنتسب إلى رجل تتبع كلامه وآراءه دون تمحيص ولا تفكّر، وتجعل أقواله مقدَّمة على ما جاء به القرآن وما ثبت في السنة، وهذا أحد أسباب انتشار البدع والضلالات في الأمة، كما قال الأستاذ رشيد موضّحا "إن في إطلاق المقلّدة المصنفين من خلف القرون الوسطى

القولَ بإيجاب تقليد المجتهدين في أمور الدين، وتحريم الأخذ بالدليل فيه...هو علة العلل لانتشار البدع التي ذهبَت بهداية الدين، واستبدلَت بها الخرافات ودجل الدجّالين"[61].

فالتقليد الأعمى أدّى إلى ترك الاستدلال، وهو ممّا أدّى إلى تعطيل الأمة عن التفكر والبحث، وهو ما أدّى بدوره إلى انتشار البدع والخرافات المناقضة للإسلام، هذه البدع يرى الأستاذ رشيد أنها أحد أسباب افتراق المسلمين وجعْلهم شيعا وأحزابا، يقول ـ رحمه الله ـ" إن البدع التي فرّقَت الأمة في أصل دينها، وجعلَتْها شيعا تؤْثِر كل شيعة اتّباع زعمائها ومذاهبها على كتاب الله وسنة رسوله وهدي سلفه الصالح بالتأويل، من حيث تدّعي أن أئمتها أعلم من مخالفيهم بتأويل الكتاب والحديث...فهم أوفق أن يقلَّدوا ويُتَّبَعوا"[62].

فالتقليد هو سبب اختلاف الأمة إلى شيع ومذاهب يعادي كل منها للآخر وينابذه، وبالتالي تتفرّق الأمة ويذهب ريحها وبأسها، فبدعة التقليد هي التي "فرّقَت الأمة وجعلتها شيعا حتى صار بأسها بينها شديدا، فسفكَت دماءها بأيديها، ومزّقَت دنياها بتمزيق في دنيها، وكان من أمرها بعد ذلك ما ترى من سوء عاقبته في كل شعب وكل قطر"[63].

ويمكن لسائل أن يتساءل قائلا: كيف يكون تقليد العلماء سببا في التفرّق؟، ويكون استقلال كل فرد في الاستدلال والفكرة سببا للوحدة؟، أليس العكس هو الصحيح؟.

والجواب عن ذلك مفاده أن الأستاذ رشيدا يهاجم التقليد لأنه مظنّة للتعصب للرجال والأقوال، وهو ما كان سببا للتفرق والتنازع، أمّا لو تُرك المجال واسعا للفكر والاستدلال لسهل على الأمة إزالة الخلاف بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله الكريم ﷺ، يقول الأستاذ رشيد في هذا "إذ لولا التقليد لسهل على الأمة أن تُرْجِع في كل عصر أقوال المجتهدين والمستنبطين إلى قولٍ واحد بعرضه على كتاب الله وسنة رسوله"[64]، وبذلك يزول الخلاف ولا يستمرّ.

ولكن يَعِن لنا موضوع مهم جدا في هذا السياق، وهو ما سبق تقريره حول فطرية الخلاف بين الناس وتفاوتهم في العقول والمدارك، فكيف يتفق هذا مع دعوة الأستاذ رشيد إلى عرض أقوال العلماء على الكتاب والسنة درءا للخلاف وتوقّيا منه؟.

ويجيب الأستاذ رشيد عن ذلك قائلا "ولما كان اختلاف الفهم ضروريا، لأنه من طباع البشر وجب عليهم أن يتحاكموا فيه إلى الكتاب والسنة حتى يزول، ولا يجوز أن يقيموا عليه، فإن تنازعتم في شيء فردّوه إلى الله والرسول، فلا عذر للمسلمين في الاختلاف في دينهم بعد هذا البيان الذي جعل لكل مشكل مخرَجا"[65].

فحدوث الخلاف بين المسلمين أمر وارد، لأنه من طباع البشر وجبلّتهم التي فُطروا عليها، لكن الإقامة على الخلاف وطول أمده هو المنهي عنه، لأنه سبب للتفرق والتعصب المؤدّي إلى التنازع والتفرق بين أهل الملة الواحدة.

2.4: العصبية الجنسية

سبقت الإشارة إلى أن الإسلام هو الرابطة التي تجمع المسلمين مع بعضهم، وتأكيد الأستاذ رشيد أنه ليس للمسلمين جنسية إلا دينهم، ولا يجوز أن يتفرق المسلمون جنسيات ومذاهبَ وأحزابا يبتدعونها.

هذا المفهوم للوحدة الإسلامية يهدّده مقوّض مقابل بل مناقض له، هو ما عاصره الأستاذ رشيد من نزعة قومية برزَت مطلع القرن العشرين في أوربا وانتقلَت إلى العالم الإسلامي، حتى قال الأستاذ رشيد أن عصره هو "عصر العصبية الجنسية للأقوام"[66].

ويرى الأستاذ رشيد فيها خطرا مباشرا على تلاحم المسلمين وتآخيهم، وذلك بتفريقهم إلى عصبيات وجنسيات مفكَّكة يسهل تقسيمها واحتلالها، يقول ـ رحمه الله ـ عن ذلك "وقد اعتصم في هذا العصر أهل أوربا بالعصبية الجنسية كما كانت العرب في الجاهلية، فسرى سمّ إلى كثير من متفرنجة المسلمين...ويوجد في مصر ـ كمثال ـ مَن يدعو إلى هذه العصبية الجاهلية مخادعين الناس بانهم بذلك ينهضون بالوطن، ويُعْلون شأنه، وليس الأمر كذلك"[67].

ويعترض الأستاذ رشيد على دعاوى الوطنية التي تدّعي إصلاح الوطن بأن صلاحه لا يكون في تمزيقه وتفريق صف أبنائه، "لا سيما المتّحدين منهم في اللغة والدين أو أحدهما، فإن هذا من مقدمات الخراب والدمار، لا من وسائل التقدم والعمران"[68].

بل جعله الأستاذ رشيد أحد أسلحة الاستعمار والطامعين في احتلال أرض المسلمين ونهب ثرواتهم، وهو ما لا يتحقق لهم إلا حين يتفكك المسلمون ويتفرقوا شيعا وأمما، يقول ـ رحمه الله ـ "وقد اجتهد أولئك الطامعون المغوون بإفساد أفكار الشعوب الإسلامية وقلوبها...كما بثوا فيها دعاة السياسة يُرغِّبونها في قطع الرابطة الدينية التي تربط بعضها ببعض، واستبدال الرابطة الجنسية أو الوطنية بها...بل صار أهل الجنس الواحد الذي تضمّه رابطة الدين ورابطة اللغة ورابطة العادات وغيرها يتعادى باسم الوطنية"[69]، فالدعوة إلى العصبية الجنسية أحد أسلحة الاستعمار لتفريق المسلمين وتشكيكهم، والهدف الأساس الذي يسعى إليه هؤلاء الداعون هو قطع الرابطة الدينية بين المسلمين واستبدال الجنسية والقومية بها.

فالأَوْلى أن يتّحد المسلمون برابطة الدين، لا أن يجعلوا اختلافاتهم في اللون والعرق والثقافة سببا للتفرق والتعادي باسم الوطنية والقومية.

3.4: دعوات ترجمة القرآن حرفيا

امتدادا لدعوات العصبية الجنسية السابقة، فقد ظهرَت دعوات أخرى تدعو إلى ترجمة القرآن الكريم ترجمة حرفية إلى لغات مختلفة، وهو ما يرى فيه الأستاذ رشيد تهديدا مباشرا للوحدة التي جاء الإسلام لتقريرها وتثبيت أركانها.

يقول ـ رحمه الله ـ "قد قام بعض الأعاجم في هذه السنين الأخيرة يدعون قومهم إلى ترجمة القرآن بلغتهم والاستغناء عن القرآن العربي"[70]، فهدف هذه الترجمات هو استبدال قرآن بلغات أخرى بالقرآن العربي.

وقد كانت تركيا هي بؤرة هذه الدعوة، وموطنها الأصلي، خصوصا بعد إسقاط الخلافة العثمانية سنة 1924[71]، ومحاربة الإسلام فيها على يد الكماليين، وهجمتهم الشديدة على كل ما له علاقة بالإسلام والعربية، مثل قيامهم بالأذان والخطبة بالتركية، "وهم يريدون محو كل ما هو عربي من اللغة التركية، ومن أنفس الأمة التركية...حتى استبدال قرآن تركي بلغة بعض ملاحدة التورانيين بالقرآن الذي نزل به الروح الأمين على قلب خاتم النبيين بلسان عربي مبين"[72]، فهدف

هذه الدعوة هو قطع صلة الشعب التركي بالقرآن العربي، وهو ما يؤدي تباعا إلى سلخهم عن الإسلام، "فإن انخدع هذا الشعب المسلم بهذا سهل على هؤلاء الملاحدة بأن يحولوا بينه وبين السنة النبوية العربية أيضا، لأنها في المرتبة الثانية، ثم أن يحولوا بينه وبين آثار الصحابة والتابعين فإنها في المرتبة الثالثة...وحينئذ يتم لهم ما يريدون من جعل الترك أمة لا دينية"[73].

ويقرر الأستاذ رشيد أن الدعوة إلى ترجمة القرآن هو بدعة مستحدثة في عصره، لم يكن لها سابق عهد في العصور السابقة في المسلمين، رغم ظهور الفرق والتيارات المختلفة، يقول ـ رحمه الله: " ولم تقم فرقة تنتمي إلى الإسلام بترجمة القرآن، ولا ضلَّت طائفة بترجمة أذكار الصلاة والأذان لأجل الاستغناء بها في التعبد لله عن اللفظ المنزل من عند الله"[74]، فرغم ظهور فرق منحرفة بأفكار خاطئة، وجماعات ضالة بتأويلات فاسدة، لكن لم يخطر ببال أيٍّ منها تغيير القرآن، ونقله عن لغته العربية كما يروم مريدو ترجمة القرآن حرفيا، الهادفين إلى سلخ الأمة التركية عن إسلامها، وهو ما لا يتأتى لهم ما دام الترك متمسكين بالقرآن العربي.

وقد فصّل الأستاذ رشيد القولَ في الموانع والمحظورات التي تمنع من ترجمة القرآن حرفيا، وهي تدور حول:

ـ تعذّر الترجمة الحرفية، لأنها عبارة عن فهم المترجِم للكلام المترجَم.

ـ الخصائص الأسلوبية في القرآن، مثل أسلوب المجاز والحذف والكنايات...الخ، كلها أمور يذهب تأثيرها وجمالها بالترجمة، كما قال ـ رحمه الله ـ "إن لِنَظم القرآن وأسلوبه تأثيرا خاصا في نفس السامع، لا يمكن أن يُنقَل بالترجمة، وإذا فات يفوته خير كثير"[75].

وبعد أن عرض ـ رحمه الله ـ لموانع الترجمة الحرفية التي بلغَت عنده خمسة عشر مانعا، يخلُص إلى أن "ترجمة القرآن ترجمة حرفية متعذّرة، ويترتّب عليها مفاسد كثيرة، فهو محظور لا يبيحه الإسلام، لأنه جناية عليه وعلى أهله، ولا يجوز أن تسمى الترجمة قرآنا ولا كتاب الله...لأن كتاب الله وقرآنه عربي بالنص القطعي والإجماع الشرعي من سلف أهل الملة كلهم وخلفها"[76].

ثم أورد ـ رحمه الله ـ إجماع العلماء المسلمين في المذاهب الأربعة حول تحريم تغيير لفظ أو حرف من القرآن، ولو بحرف عربي، فما بالك بحرف من لغة أخرى، وأورد كذلك شبهات القائلين بالترجمة الحرفية، وردّ عليها بالأدلة القطعية.

وزاد ـ رحمه الله ـ من التدليل على فساد الترجمة الحرفية للقرآن ما وقع من أغلاط وتحريفات في ترجمات تركية قام بها بعض الباحثين[77].

فترجمة القرآن هي مرحلة من مراحل الحرب على الإسلام ولغته، ومحوها وطمس معالمها، واستبدال الرابطة اللغوية برابطة الإسلام الجامعة للشعوب، وهو ما يؤدّي إلى جعل كل شعب مستقلا عن غيره، "ومن ثَم صارت جامعة اللغة والقومية معارضة للجامعة الإسلامية، وسببا لمعاداتها"[78].

ويمكن القول إن سبب مهاجمة الأستاذ رشيد لدعوات الترجمة الحرفية للقرآن يكمن في كون هذه الدعوات لو تحققت فإنها تشكِّل تهديدا مباشرا على الوحدة الإسلامية، فهي تؤدي إلى جعل أهل كل لغة يستغنون بقرآن مترجَم بلغتهم، وهذا يهدد رابطة اللغة العربية التي تجمع كل مسلمي العالم.

الخاتمة:

تناولت هذه الدراسة موضوع الوحدة الإسلامية في فكر أحد أقطاب الإصلاح المعاصر، ألا وهو الأستاذ رشيد رضا، وبيّنَت إيمانَه العميق بضرورة الوحدة بين المسلمين لِما فيه من قوة وعزة ومنعة، ولما في التفرق والتنازع من ضعف وتخاذل وانكسار.

وقد خلُصت الدراسة إلى جملة نتائج، نعدّد منها:

1 ـ الوحدة بين الناس أمر فطري توجبه ضرورات الحياة ومتطلبات العيش، نظرا لعجز الإنسان عن التكفل بجميع احتياجاته منفردا.

2 ـ فطرية اجتماع الإنسان مع غيره قد يتعارض مع حتمية الاختلاف بين البشر والتفاوت الحاصل في مداركهم وعقولهم، لذلك أرسل الله الرسلَ هدايةً للناس إلى طريق الوحدة والبعد عن الفرقة.

3 ـ عانى المسلمون في عصر الأستاذ من التفرق والاختلاف فيما بينهم، وهو ما أدّى إلى ضعفهم وتخلّفهم ووقوعهم تحت نَيْر الاحتلال الأوربي.

4 ـ شدّد الأستاذ رشيد على ضرورة توحيد المسلمين، ونادى في أكثر من مناسبة إلى أن وحدة الصف هي طوق النجاة الذي يجب أن يتعلّق به المسلمون ليواجهوا الأخطار التي تحيق بهم.

5 ـ أكّد الأستاذ رشيد أن الوحدة الإسلامية تقوم على مقوّمَيْن رئيسَين، هما: الإسلام واللغة العربية، فالمسلمون تجمعهم رابطة الإسلام كدين جامع، ورابطة اللغة التي جاء بها الإسلام، ونزل بها القرآن.

6 ـ لكن هذه الوحدة بين المسلمين تهدّدها مقوّضات يُراد بها تقويض الوحدة الإسلامية وتفريق المسلمين، وأهم هذه المهدّدات للوحدة هي: التقليد، والعصبية الجنسية (القومية)، ودعاوى ترجمة القرآن ترجمة حرفية.

وقد حذّر الأستاذ رشيد في تفسيره من هذه المهدّدات، ونبّه إلى خطرها وضررها على واقع المسلمين وعلى مستقبلهم.

في الأخير، تجدر الإشارة إلى أن الأستاذ رشيدا من خلال هذا الموضوع قد أبان عن فكر نافذ، وبصيرة حادّة، فهو من أوائل المفكرين المعاصرين الذين حاولوا جهدهم تنبيه المسلمين إلى خطر هذا الموضوع وأهميته.

هذا، ويوصي الباحث بمزيد اهتمام بهذا الموضوع المهم جدا والحيوي، خصوصا وأننا نرى خطره وتأثيره المباشر على واقعنا اليوم، فلا بد من البحث والدراسة لكيفية إعادة الوحدة بين المسلمين، ونبذ التفرق والخلاف بينهم.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تعليق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1: 1419 هـ/ 1998م.

3. مُحَمَّد عبده، رسالة التوحيد تحقيق: مُحَمَّد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط1: 1414هـ/ 1994م.

4. تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، جمع الجوامع في أصول الفقه، تلعيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2: 1424هـ/ 2003م.

5. مُحَمَّد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم، مطبعة المنار، القاهرة، ط2: 1366 هـ/ 1946م.

6. د. مراد باخريصة، مقال: الأمر بالاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، موقع الألوكة، **تاريخ الإضافة** *23/12/2015* :ميلادي – 1437/3/12 هجري، الرابط:

7. علي بن مُحَمَّد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط1: 1424هـ/ 2003م.

8. مُحَمَّد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، لبنان، د.ط.

9. مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1: 1427هـ/ 2006م.

10. مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، القاهرة، ط1: 1358 هـ/ 1937م.

11. مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، عناية: زهير جعيد، دار الفكر، لبنان، 2010م.

12. مُحَمَّد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، لبنان، ط1: 1401هـ/ 1981م.

13. محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، مصر، ط8: 1424 هـ/ 2004م.

14. عمر يوسف حمزة، معالم الوحدة في طريق الأمة أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1: 1413 هـ/ 1993.

15. https://www.alukah.net/sharia/0/96458/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-%D9%88%D9%86%D8%A8%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81/

16. الوحدة اللغوية، موقع البيان، تاريخ الإضافة: 11 نوفمبر، 2012، الرابط https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=2382.

الهوامش:

[1] . مُحَمَّد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان، عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1: 1427هـ/ 2006م، ج 5/ ص 241.

[2] . إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تعليق: مُحَمَّد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1: 1419 هـ/ 1998م، ج 2/ ص 77.

[3] . مُحَمَّد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي، البحر المحيط في التفسير، عناية: زهير جعيد، دار الفكر، لبنان، 2010، ج 3/ ص 286.

[4] . أخرجه " البخاري رقم (6026)، كتاب الأدب، باب تعاون المؤمنين بعضهم مع بعض، وأخرجه مسلم رقم (2585)، مسلم رقم (2585)، كتاب البر والصلة والآداب, باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، وأخرجه أحمد في المسند, باب حديث أبي موسى الأشعري، رقم (19625)، وأخرجه "الترمذي في جامعه, باب ما جاء في شفقة المسلم على المسلم، رقم 1928، وقال حديث صحيح.

[5] . رواه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة الآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم، رقم 2586، ورواه الإمام أحمد في المسند من حديث النعمان بن بشير، رقم 18373.

[6] . .رواه أبو داود، رقم (4471)، كتاب الديات، باب أيقاد المسلم بالكافر، في السنن، رقم (2684)، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم.

[7] . معالم الوحدة في طريق الأمة، عمر يوسف حمزة، أحمد عبد الرحيم السايح، الدار المصرية اللبنانية، ط1: 1413 هـ/ 1993، ص 108.

[8] . محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، دار الشروق، مصر، ط8: 1424 هـ/ 2004م، ص 295.

[9] . محمود شلتوت، من توجيهات الإسلام، ص 319.

[10] . د. مراد باخريصة، مقال: الأمر بالاجتماع والائتلاف ونبذ الفرقة والاختلاف، موقع الألوكة، **تاريخ الإضافة** 23/12/2015 :ميلادي – 1437/3/12 هجري، الرابط:
https://www.alukah.net/sharia/0/96458/%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D8%B1-%D8%A8%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%A6%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81-%D9%88%D9%86%D8%A8%D8%B0-%D8%A7%D9%84%D9%81%D8%B1%D9%82%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AE%D8%AA%D9%84%D8%A7%D9%81/

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، رقم (2812)، كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان، وبعث سراياه، وأن لكل إنسان قرينا، والترمذي رقم (1937)، باب ما جاء في التباغض.

[11] . تفسير القرآن الحكيم، رشيد رضا، مطبعة المنار، القاهرة، ط2: 1366 هـ/ 1946م، ج 2/ ص 282.

[12] . تفسير المنار، ج 2/ ص 282.

[13] . تفسير المنار، ج 4/ ص 23.

[14] . تفسير المنار، ج 12/ ص 248.

[15] . تفسير المنار، ج 12/ ص 22.

[16] . تفسير المنار، ج 4/ ص 25.

[17] . تفسير المنار، ج 4/ ص 24.

[18] . تفسير المنار، ج 4/ ص 20.

[19] . أخرجه البخاري، رقم (7080)، كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ ـ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، ومسلم رقم (65)، كتاب الإيمان، باب بيان معنى قول النبي ﷺ ـ لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.

[20] . تفسير المنار، ج 2/ ص 258.
[21] . تفسير المنار، ج 2/ ص 259.
[22] . تفسير المنار، ج 8/ ص 217.
[23] . تفسير المنار، ج 8/ ص 217،
[24] . تفسير المنار، ج 8/ ص 228.
[25] . تفسير المنار، ج 11/ ص 256.
[26] . تفسير المنار، ج 11/ ص 256.
[27] . تفسير المنار، ج 11/ ص 256.
[28] . تفسير المنار، ج 11/ ص 256.
[29] . تفسير المنار، ج 11/ ص 257.
[30] . تفسير المنار، ج 11/ ص 257.
[31] . تفسير المنار، ج 11/ ص 257.
[32] . تفسير المنار، ج 11/ ص 257.
[33] . تفسير المنار، ج 11/ ص 258.
[34] . تفسير المنار، ج 11/ ص 257.
[35] . تفسير المنار، ج 11/ ص 258.
[36] . تفسير المنار، ج7/ ص 613، انظر: مُحَمَّد عبده، رسالة التوحيد تحقيق: مُحَمَّد عمارة، دار الشروق، القاهرة، ط1: 1414هـ/ 1994م، ص 90 وما بعدها
[37] . مُحَمَّد أبو زهرة، الوحدة الإسلامية، دار الرائد العربي، لبنان، د.ط، ص 233.
[38] . تفسير المنار، ج 2/ ص 259.
[39] . تفسير المنار، ج 2/ ص 259.
[40] . تفسير المنار، ج 2/ ص 259.
[41] . تفسير المنار، ج 2/ ص 260.
[42] . تفسير المنار، ج 4/ ص 20.
[43] . تفسير المنار، ج 1/ ص 11.
[44] . تفسير المنار، ج 1/ ص 29.
[45] الوحدة اللغوية، موقع البيان، تاريخ الإضافة: 11 نوفمبر، 2012، الرابط https://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?ID=2382.
[46] . مُحَمَّد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد مُحَمَّد شاكر، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأبناؤه، القاهرة، ط1: 1358 هـ/ 1937م، ص 46.
[47] . تفسير المنار، ج 1/ ص 29.

[48] الرسالة، 48.

[49] . تفسير المنار، ج 9/ ص 312.

[50] . تفسير المنار، ج 9/ ص 313.

[51] . تفسير المنار، ج 9/ ص 313.

[52] . تفسير المنار، ج 9/ ص 313.

[53] . تفسير المنار، ج 1/ ص 30.

[54] . ناظر: لسان العرب، ج3/ ص 367، مادة قلد، تاج العروس، ج9/ ص 64، باب الدال، مادة قلد، المصباح المنير، ص 513، باب القاف، مادة قلد، ومعجم مقاييس اللغة، ج 5/ ص 19، كتاب القاف، مادة قلد، القاموس المحيط، ص 312، مادة قلد.

[55] . جمع الجوامع في أصول الفقه، تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي، تلعيق عبد المنعم خليل إبراهيم، دار الكتب العلمية، لبنان، ط2: 1424هـ/ 2003م، ص 121.

[56] . علي بن مُحَمَّد الآمدي، الإحكام في أصول الأحكام، تعليق: الشيخ عبد الرزاق عفيفي، دار الصميعي، الرياض، ط1: 1424هـ/ 2003م، ج 4/ ص 269.

[57] . تفسير المنار، ج 7/ ص 205.

[58] . تفسير المنار، ج 7/ ص 205.

[59] . تفسير المنار، ج 1/ ص 114.

[60] . تفسير المنار، ج 7/ ص 206.

[61] . تفسير المنار، ج 1/ ص 114، بتصرف بسيط.

[62] . تفسير المنار، ج 11/ ص 442.

[63] . تفسير المنار، ج 2/ ص 262.

[64] . تفسير المنار، ج2/ ص 108.

[65] . تفسير المنار، ج 2/ ص 108.

[66] . تفسير المنار، ج 6/ ص 328.

[67] . تفسير المنار، ج 4/ ص 21.

[68] . تفسير المنار، ج 4/ ص 21.

[69] . تفسير المنار، ج 8/ ص 228.

[70] . تفسير المنار، ج 1/ ص 30.

[71] . مُحَمَّد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، دار النفائس، لبنان، ط1: 1401هـ/ 1981م، ص 718.

[72] . تفسير المنار، ج 9/ ص 318.

[73] . تفسير المنار، ج 9/ ص 45.

[74]. تفسير المنار، ج 9/ ص 319.
[75]. تفسير المنار، ج 9/ ص 328.
[76]. تفسير المنار، ج 9/ ص 331.
[77]. تفسير المنار، ج 9/ ص 353.
[78]. تفسير المنار، ج 9/ ص 272.